ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

كوديكولوجيا المخطوط العربي: البنية التراثية واستشراف الرقمنة

Codicology of the Arabic manuscript: heritage structure and the prospects of digitization

سلطاني فاروق

المركز الجامعي نور البشير البيض (الجزائر)

مخبر الشعرية الجزائرية

https://orcid.org/0000-0002-4686-8353

farouk.soltani@cu-elbayadh.dz

تاريخ الاستلام: 2026/07/07 تاريخ القبول: 2026/09/06

ملخص: تندرج الورقة البحثية ضمن الدراسات النقدية البينية، المهتمة بتفكيك تركيبة المخطوط، وكشف مكوناته المادية التي يتشكل منها، وتوضيح خصائص كل جزء فيه، حتى يتم استقراء محتواه المعرفي بدقة، لما للمخطوط من أهمية حضارية، ساعد في توثيق العلوم، وتناقلها على مر العصور، ورسخ تراكمية المعرفة بين الأجيال، وحافظ على الإرث المادي ولامادي للإنسان، تكمن أهمية الدراسة في تبيان مكانة المخطوط، الذي يعد عمادا ابستيمولوجيا، يوثق لعمليتي التفكير والتدوين اللتان أتقنهما الإنسان منذ الأزل، وللتحقيق في ماهيته وخصوصية البينية، اتبعنا دراسة كوديكولوجية، تختص في التأصيل المعرفي والشكلي اللذان يقوم عليهما المخطوط، مستشرفين في نهاية البحث استشراف مستقبل المخطوط في ظل التطور الرقمي، وسبل تكييفه مع هذا التطور الحضاري الحاصل في مجال الرقمنة الحاسوبية، حتى نرتقي به لمصاف الإتاحة العولماتية.

الكلمات المفتاحية: كوديكولوجيا؛ مخطوط عربي؛ ؛ مبنى ومتن؛ رقمنة؛ أرشفة .

***

Abstract: It is represented in the research paper on the inter-critical studies concerned with dividing the composition of the manuscript, revealing its physical components from which it is formed, as well as describing the characteristics of each part in it, so that its knowledge content is accurately discovered. Because the manuscript has a cultural significance, It helped to establish science, and its transmission over the ages, and consolidated the collection of knowledge between generations, and preserved the material and immaterial heritage of man since ever. In order to investigate its definition and also in its interlayer privacy, we followed a codecological study, specialized in the cognitive and formal rooting on which the manuscript is based. At the end of the research, we anticipate the future of the manuscript during of digital development, and how it adapts to this civilizational development, until we reach it to the degree of its global preparation.

Keywords: codecology; the manuscript; its components; digitization.

مقدمة:

لكل أمة من الأمم تراثها اللغوي والفكري الذي يمثل ماهيتها العلمية والثقافية ويحفظ تاريخها الحضاري والتاريخي، فالأمة العربية على غيرها من الأمم لها رصيد ثري وضخم من المخطوطات المتنوعة والمتعددة التي تحمل هويتها الثقافية والحضارية على مدى العصور، حيث اكتسبت هاته المخطوطات قيمة مهمة لدى العديد من المحققين والباحثين، فسعوا لرصد الكيفية التي قامت عليها هاته المخطوطات، وهو ما تمثل في ظهور علم يهتم بدراسة المخطوطات سمي ب "الكوديكولوجيا"، كعلم يدرس المخطوطات المكتوبة بخط اليد، إلا أن المخطوط العربي كجزء مهم من النظام المعرفي العالمي، فإنه يشهد تحديات عصرية جديدة قد تؤثر على وجوده إن بقي في حالته التقليدية، لذلك وجب تكييف هذا التراث من المخطوطات مع مجريات العصر الذي يشهد كل يوم تطورا كبيرا في مختلف المجالات المعرفية والتقنية، والذي يتزامن مع التطور التكنولوجي الحاصل في مجال التقنيات السمعية البصرية، لتكون الأرشفة بذلك محطة مهمة لنقل المخطوط من مرحلة التدوين اليدوي التقليدي إلى التوثيق الرقمي، بجعله وثيقة رقمية مكيفة مع التطور العصري الرقمي، وهو ما يسمح لنا فيما بعد للوصول لعولمة المخطوط العربي، بتكييفه مع آلية الأرشفة والرقمنة باستثمار الوسائط السمعية البصرية الناجمة عن تكنولوجيا المعلومات، ليتسنى فيما بعد الحفظ والإطلاع على المخطوط العربي وتناقله بين الباحثين في مختلف الأماكن وفي شتى الأزمنة، وهذا بفضل تماشي المخطوط مع رهانات العصرنة الرقمية.

لأهمية الموضوع الذي سنتناوله في هذا المقال، ارتأينا في هاته دراسة تقديم رؤية نقدية بينية حول كوديكولوجيا المخطوط العربي، والرؤية الاستشرافية المستقبلية لرقمنته، كغاية مهمة لعولمة المخطوط العربي، حيث يعد المخطوط تراثا معرفيا يكشف عن الهوية الثقافية للعرب عبر التاريخ الطويل، فنتناول في الجانب المفاهيمي لعلم المخطوطات "الكوديكولوجيا" دراسة وافية حول الأسس المادية التي تدخل في صناعة المخطوط العربي، والكيفية التي يتجسد فيها التراث الفكري المعرفي القديم في المخطوط العربي، ثم نتناول دراسة لتجليات المخطوط العربي من النشأة حتى التطور، وصولا إلى تقديم تصور استشرافي حول الغاية من أرشفة المخطوط من خلال تكييفه مع روح العصرنة، حيث تكون الرقمنة محطة لعولمة المخطوط العربي كغاية معرفية سامية سيكون لها الأثر المفيد مستقبلا.

كما نطرح في الدراسة جملة من الإشكالات التي تميط اللثام المعرفي عن فحوى الموضوع وخصوصياته البينية ورؤاه الاستشرافية، ومن هاته الأسئلة نطرح الأسئلة التالية:

_ ما هي المقاربة المنهجية التي تعتمدها الكوديكولوجيا في دراسة المخطوط العربي؟

_ كيف يمكن تكييف المخطوط العربي مع رهانات العصرنة من خلال السعي لأرشفته وذلك بنقله من حالته الورقية الرثة إلى الحالة الرقمية العصرية؟.

_ هل عولمة المخطوط في سياق العصرنة الرقمية غاية قابلة للتجسيد في السنوات القادمة ؟.

1.رصد مفاهيمي لكوديكولوجيا المخطوط:

حفل التاريخ الحضاري لكل أمة من الأمم بزخم من المعارف والعلوم المختلفة، التي تكشف عن طبيعة الثقافة السائدة في تلك المجتمعات، ومن بين هذا النتاج الفكري الذي أبدع الإنسان في صناعته نجد المخطوط، فالمخطوط يحمل في خاصيته الطابع الحرفي المصنوع باليد من مواد طبيعية "إن المخطوط هو المكتوب باليد في

أي نوع من أنواع الأدب سواء كان على الورق أو على أية مادة أخرى كالجلود والألواح الطينية القديمة والحجارة وغيرها

1)، وقد اتخذه اللغويون وسيلة لتدوين معارفهم وفنونهم المتنوعة ليكون المخطوط بذلك بمثابة الأثر المادي الذي يدل على قيام حضارة معرفية في زمن من الأزمنة.

إن هاته الأثرية إنما اكتسبها من خلال حدثي الكتابة والتدوين، فالمخطوط يعد منعرجا حاسم في التاريخ الفكري أين انتقل فيه الإنسان من مرحلة المشافهة والنقل إلى مرحلة الكتابة والتدوين، ليكون المخطوط بفضل الكتابة كشاهد أثري "والأثر هو التشكيل الناتج عن الكتابة، وذلك يتم عندما تتصدر الإشارة الجملة وتبرز القيمة الشاعرية للنص ويقوم النص بتصدر الظاهرة اللغوية، فتتحول الكتابة لتصبح القيمة الأولى وتتجاوز حالتها القديمة من كونها حدثا ثانويا يأتي بعد النطق"(2).

كان لهاته الأثرية الدور الهام في جذب اهتمام الباحثين في مجال دراسة المخطوط من خلال "دراسة المخطوط دراسة أثرية تعنى بإعادة صياغته وبنائه باعتباره قطعة ينفذ منها لمعالجة مختلف الجوانب المعرفة التاريخية مثل البحث في تناقضات النصوص وفي تاريخ إنتاجها وما شابهها من تاريخ المكتبات والمجموعات والنساخ وغير ذلك، وكاد اهتمام الباحثين عموما والفيلولوجيين خصوصا يقتصر حتى النصف الأول من القرن العشرين على دراسة الكتاب المخطوط باعتباره نصا من النصوص ووسيلة لنقل الأفكار، وليس باعتباره قطعة مادية وشاهدا على عصر أنجز فيه فحسب"(3).

كان لتزايد اهتمام الباحثين بدراسة المخطوط تأثير كبير بظهور علم قائم بذاته يختص بدراسة المخطوطات المكتوبة باليد، على الرغم من أن هذا العلم يعرف تضاربا مصطلحيا في تحديد مفهوم ثابت له، وقد أطلق عليه الباحث ألفونس دان مصطلح يسمى الكوديكولوجيا "والكلمة مركبة من اللفظة اللاتينية كوديكس codex أي الكتاب، ومن اللفظة اليونانية لوغوس logos بمعنى الدراسة، وقد دخلت المعاجم الفرنسية سنة 1909م، وقد يراد به عند القدماء مفهوم الوراقة، أو كل ما يتعلق بالمخطوطات من كتابة وصناعة وتجارة وترميم وما إلى ذلك، وبقي هذا العلم منحصرا في البعد التاريخي والفهرسي زمنا طويلا"(4).

يعد كتاب "مدخل إلى علم المخطوط" لجاك لومير أول مصدر اهتم بالتنظير لهذا العلم، فعلى الرغم من أن ألفونس دان حصر الكوديكولوجيا بدراسة الخطوط القديمة، إلا أن علم المخطوط يهتم بدراسة الجانب الكيفي والمادي للتقنيات التي تدخلت في صناعة المخطوط "وعندي أن هناك علم المخطوطات في المعنى الضيق فهو الذي يهتم فقط بما يمكن أن نسميه التقنيات الصناعية للكتاب، وبعبارة أخرى يدرس كل الوسائل المادية التي استعملت في القديم وفي العصور الوسطى من أجل صناعة هذا الذي يبدو بسيطا في الظاهر وهو في العمق متشابك جدا الكتاب المخطوط وهناك علم المخطوط وهو ذلك الذي يضيف إلى دراسة الكتاب المخطوط دراسة الكتاب المطبوع وهو رديف للأول والذي لا يهمل إلى جانب دراسة المخطوطات في ذاتها النصوص التي تقدمها المخطوطات في تعقيداتها اللامتناهية"(5).

استطاع الكوديكولوجيا في دراسة للمخطوطات عموما وفي مكوناته المادية التقنية التي تدخلت في صناعته خصوصا على مدى استثمار الحرفي لليد كعنصر وظيفي أساسي يتدخل في صناعة المخطوط بصفة أساسية مباشرة ومستمرة من التدوين إلى التسفير، وبذلك تجعل اليد من التفكير تفكيرا وظيفيا وهو ما يؤكد عليه

هايدجر "فمن اللازم التفكير في اليد غير أننا لا يمكننا التفكير فيها كشيء وكموجود étant فبالأحرى كموضوع، فاليد تفكر قبل أن نفكر قبل أن نفكر فيها، إنها فكرة مفكر فيها، فهي الفكر"(6).

لذلك فصناعة المخطوط تكشف عن مدى التطابق الفكري بين ما يحمله الحرفي من تفكير وما يود إنتاجه كحاجة نفعية تتمثل في الكتابة، فلن تكون هنالك صناعة للمخطوط دون هذا التطابق بين ماهية التدوين وماهية الإنسان بوصفه كائنا مكرسا للكتابة، وهو واقع يشبه صناعة الصندوق لدى النجار"ولن تكون هنالك مهنة للنجارة دون هذا التطابق بين ماهية الخشب وماهية الإنسان بوصفه كائنا مكرسا للسكن"(7)، وبهذا يكون المخطوط ذا وجود براغماتيا تفرضه الحاجة التي يتحقق فيها التفكير الفعلي الذي ينقل الفكر من صورته الشفهية إلى المكتوبة المحسوسة رسما حرفيا على ألواح أو أوراق، يكون فيها المخطوط منجزا معرفيا مدونا يجمع عديد المعارف الشفوية وينقلها بصورة نفعية مجسدة في التدوين.

ينتهج الكوديكولوجي في دراسته للمخطوطات على التركيز بدراسة السياق الزمني والبعد المكني الذي ظهر فيه المخطوط، والتقنيات التي اعتمدت في صناعته وهو ما يكفل للباحث تحدد تاريخ المخطوط وجغرافيته، ثم يتسنى له تمحيصها والمقارنة بينها لإيجاد الزائف من الأصلي، ويقدم عبد الستار الحلوجي المحطات الستة التي ينتهجها علم المخطوط في تعامله مع المخطوطات" أما عبد الستار الحلوجي فهو يحصر علم المخطوطات في ستة عناصر هي: تاريخ المخطوط، والكيان المادي للمخطوط، وتقسيم المخطوطات، ومعايير تقييمها التي تعتمد على التقاليد النصية الموجودة في النسخ، والحفظ والصيانة، وأساليب التعقيم والترميم والتصوير، والفهرسة والضبط البيلوغرافي، والتحقيق والنشر"(8).

بالتالي فعلم المخطوط يتخذ منجية بحث في دراسة المخطوطات في غاية التداخل والتعقيد وتتطلب كثيرا من الدقة في التحري والعناية بالمخطوط المراد دراسته.

2.مكونات بنية المخطوط:

مكن علم المخطوط أو الكوديكولوجيا من الكشف على التقنيات الأولية التي تدخل في صناعة المخطوط والتي يغلب عليها خاصية المنتج الطبيعي والمادي دون الحاجة لتقنيات معقدة تحتاج لجهد كبير، ومن هاته التقنيات نجد:

1.2_الرق والورق:

تعد أولى المواد التي أظهرت المخطوط للوجود، من خلال توافقها مع الطبيعة البدائية للشعوب، أين اتخذ من ورق البردي مادة أولية لتدوين ما يجول في فكره من معارف وفنون، إلا أن هذا النوع من المواد كان يصعب الاحتفاظ به لندرة وجوده، فهو نبات يرتكز في منطقة دون أخرى مما يصعب الحصول عليه "إذ أن البردي دلك الورق النباتي المعرف قديما باسم القراطيس الفرعونية لم يكن ينبت في إفريقية وإنما كان من نتائج مصر خاصة، ولا يوجد إلا فيها، وهو صعب الجلب وأصعب من ذلك الاحتفاظ به"(9)

كان للتطور الاجتماعي والمعرفي الأثر الكبير في زيادة الحاجة للتدوين من أجل ترسيخ المعرفة وتسهيل تناقلها بين الأجيال، وهو ما دفعه للبحث عن وسائل جديدة للخط عليها والتي تمثلت في الرق كمنتج طبيعي مستخلص من جلود الحيوانات، والذي كان يتطلب عمليات إعداد معقدة من أجل تجهيزه للتدوين، كما أنه يتميز بغلائه،

مما يدفع المدونين مرات كثيرة إلى إعادة الكتابة عليه بعد امحاء التدوين الأول وهكذا "حكى أحمد بن خالد بن يزيد من رجال القرن الثالث قال: كانت أمي تغزل الصوف فأبيع غزلها لأشتري به الرق والكتب"([10]).

إن اعتماد المدونين على الرق كمادة أولية في التدوين لم يكن من فراغ، وإنما يرجع لجودة الكتاب عليه والتي نافس فيها الورق "وإنما تبرهن التجربة أن الرق يبقى مادة أكثر فاعلية من الورق وأنه يقاوم رطوبة صحيفة التهذيب، وأنه يصلح حينما تستعمل الألوان، وأن معالجته بالزخرفة تستوجب عناية ومهارة لا متناهيين، فرسم التزيينات والزخارف الفاخرة في بعض الأحيان والذي كان يتطلب عملا متأنيا ومكلفا للغاية يستوجب مادة رفيعة وصالحة لأطول فترة ممكنة وهذا ما جعل النساخة على الرق تختف تماما لدى صناع الكتب في العصر الوسيط"([11]).

كان ظهور الصناعة الورقية في الصين حدث جد مهم في تاريخ الكتابة الإنسانية، حيث نقله العرب من آسيا إلى أوربا، ليعتمد بعد ذلك كوسيلة أساسية في التعامل بين الحضارات فيما بعد، وبذلك حل الورق كبديل عن الرق في الكتابة وهو يختلف عنه من حيث أن الرق "هو مادة مصنوعة في عمومها من صناعة الإنسان وذلك بخلاف الرق الذي هو مادة طبيعية مأخوذة من الحيوان وقد ظهر في الغرب كما أوزعنا إلى ذلك آنفا أثناء العصر الوسيط، والمعروف أن الصينيين هم الذين اخترعوه وأدخله العرب إلى أوربا، فانتشر على سواحل البحر الأبيض المتوسط من القرون الأولى من العهد الوسيط"([12])، فعلى الرغم من قيمة الورق في صناعة المخطوط إلا أن أغلب المدونين لم يتخلوا عن الرق حتى في عز رواج الورق وذلك راجع للخصوصية التي يتميز بها الرق وخاصة صموده أمام العوامل الطبيعية التي قد تتلف المخطوط مثل الرطوبة والتبليل بالماء، في حين أن الورق أثبت هشاشته من حيث هذا المنبر، لذلك كان التوجه للورق في صناعة المخطوط من باب وفرته من جهته وسعره المتيسر الحصول عليه، بخلاف الرق الذي يبقى نادرا وغاليا.

2.2_الملزمة:

يعرفها دونيس موزيل بمايلي: "مجموعة الصحائف المزدوجة المدمجة الواحدة مع الأخرى، والموحدة عن طريق خرز واحد من الخياطة، ويمكن أن تكون الملزمة عند الاقتضاء من صحيفة واحدة مزدوجة أو حتى من صحيفة ناقصة مخيطة في استقلال عن الأخريات"([13]).

يتطلب دراسة الملزمة اهتماما في غاية الدقة والتركيز ذلك أن أي خطأ تقني قد يؤدي إلى التأثير على الشكل العام للملازم "إن وصف شكل تشكيل الملازم يجب أن يناط بعناية كبيرة في وصفه علم المخطوطات، وذلك لأن هاته العملية تتحكم في كل ما يليها من عناصر صناعة الكتاب: تركيب صفحات النص، ونساخته وإنجاز الزخارف الخ، ومن المؤكد أن بعض الاستثناءات التي تلاحظها في صناعة الملازم يمكن أن تنشأ عن لاحقة عن هاته الصناعة، فخطأ معين في النساخة مثلا يمكن أن يؤدي إلى قطع صحيفة معينة وهو ما يعكسه حضورا المعقب"([14]).

3.2_الطي:

تمثل أسلوب صناعة الملزمة، وهي تقنية حديثة الظهور حيث ظهرت لأول مرة كمقال في مجلة سكريتريوم، حيث يقوم الطي على آلية مقابلة الصفحات، من أجل تحقيق ترتيب تام "وقد لجأ صناع الملازم في العصور الوسطى إلى أسلوب الطي من أجل احترام هاته القاعدة، وكانوا في إنجاز عملية الطي، يبسطون الجهة نفسها من الجلد انطلاقا من الطبقة الأولى وفي كل طية إضافية، ويضعون هاته الجهات المتشابهة وجها لوجه،

وكانوا يلجئون بهاته الطريقة إلى وسيلة سهلة وعملية وأكيدة لتحقيق الترتيب التام للصحائف في ثنائيات متوالية"([15]).

4.2_الخزم:

هو من التقنيات البسيطة والضرورية في إعداد المخطوطات من خلال تشكيل الثقوب التي يعتمد عليها كمرجع لتسطير السطور، وهي مدرجة كعلامة لتوجيه الصانع، حيث كان يستند على المثقب لثقبها، لذلك يعد البحث عن ماهية الأداة المستعملة أمر في غاية الصعوبة والغموض على الرغم من كل الزعم الذي يقال حوله "أما نحن فنرفض الدفاع عن كل الاقتراح لا يمكن تأكيده بالتجربة، لذلك فإننا سنذهب إلى أن لمخرز هي الأداة التي أستعملت بشكل خاص في إنجاز الخزم، وهي أسهل أداة كانت في متناول الصناع، وذلك لعدم توفر الشواهد الحفرية أو التاريخية الملموسة وفوق هذا فأي أداة أخرى ما سوى أداة مسننة يمكن أن تنفذ في شك ثمان صحائف رقيقة"([16]).

5.2_التسطير:

يتألف من "مجموع الخطوط المستقيمة العمودية أو الأفقية التي تمكن الناسخ أو المزخرف من أن يرتب نصه، أو زخرفته وفق نظام دقيق، والتسطير يسبق حدث النساخة ضمن مسار صنع الكتاب المترتب عن التسطير وهذا ما يدعونا إلى أن نميز ما يتعلق بالتسطير وما يتعلق بالتصرفات التي صنعها النساخ إزاء هذا الشكل"[17].

6.2_تركيب الصفحات:

بعد تهيئة المخطوط وإعداده يمر الصانع إلى مرحلة تركيب الصفحات والتي تلي مرحلة تهيئة الصفحة "يجب أن تتشكل الرباعية حسب النسب الآتية، خمسة أجزاء في الطول، مقابل أربعة في العرض ونعطي للهامش التحتي أو بالشكل المضبوط للهامش الأمامي جزءا واحد من الطول ونقسم هذا الأخير إلى ثلاثة أجزاء ونعطي ثلثيه إلى الهامش الفوقي وسنقسم الاثنين من جديد، إلى ثلاثة، ونعطي ثلثيهما للهامش الخلفي، وإذا كان يجب أن يكون هناك هامش في الوسط فسيكون مساويا لهذا الأخير وسنقسم الخطوط بحسب الكتابة، وهكذا تستوجب الكتابة الكبيرة خطوطا عريضة جدا بينما لا تتطلب الكتابة الصغيرة إلا خطوطا أكثر ضيقا"([18]).

7.2_النسخ:

بعد المرور على المراحل السابقة تأتي مرحلة النسخ والتي تحمل في جوهرها كثيرا من الغموض مما يجعلها مجهولة إلى الأبد، حيث تحتاج النساخة إلى أدوات مثل قلم الرصاص، قلم الفضة، الريشة، وهي ترتكز بالأساس على اليد في إعدادها "فانطلاقا مما يوجد في الأيقينات، كان النساخ القرن الخامس عشر يكتبون في أغلب الأحيان على سطح أفقي بوضع اليد، إذا حافظ النساخ على مادة الكتابة مستوية بطبيعة الحال بواسطة ذراع اليد التي يكتب بها، واحتمالا بالذراع الأخرى، وأصبحت الحروف تكتب بسرعة كبيرة وتراجع زمن النساخة"([19]).

8.2_الزخرفة:

تأتي هاته المرحلة الشكلية "بعد مرحلة النساخة الهمة والطويلة، ضمن مسار صناعة المخطوط الوسطي، ولم تكن الكتب جميعها كما هو معروف مزخرفة فالكتب التي كانت يجب أن تستخدم للدراسة أو التعليم لم تكن الكتب جميعها كما هو معروف مزخرفة، فالكتب التي كانت يجب أن تستخدم للدراسة أو التعليم لم تكن تضم في غالب الأحيان إلا زخارف بسيطة، وكانت أثمانها مناسبة بقدر بساطتها، وفي مقابل ذلك فالمؤلفات التي كان يكتبها الأمراء الكبار، والقمينة بنشر صيتهم كانت تزخرف في بعض الأحيان لجلية زخرفيه في درجة من الثراء تصبح معها هاته المؤلفات أشياء ثمينة وأصيلة وتحصل على الصورة النموذجية للآثار الفنية"([20]).

9.2_التسفير: وهو يعد المرحلة الختامية في صناعة المخطوط "وهو آخر عملية لها علاقة بإنجاز الكتاب في العصر الوسيط، وهو عملية جمع مختلف ملازم السفر، وحفظ كل الصحائف المشكلة بهاته الطريقة بواسطة دفتين وقفا"([21]).

يتضح أن كوديكولوجيا المخطوط علم يهتم بدراسة الجوانب المادية والكيفية التي تدخل في صناعة المخطوط، وهي عملية في غاية التداخل والتعقيد حيث يتطلب فيها الأمر كثيرا من العناية والإتقان والدقة في التعامل مع المواد أثناء صناعة المخطوط، ذلك أن هاته المواد بحد ذاتها هي الكفيلة بتحديد طبيعة وزمن ومكان صناعة المخطوط "إن أول شيء يمكن قوله في هذا الباب وأحب أن أبينه: إن المخطوط هو ابن بيئته وعصره، وتأويل ذلك أن كثيرا ما تكون المواد المصنوعة منه كالورق والمداد والجلد آتية من المكان الذي صنع منه الكتاب، إضافة إلى كونه الناسخ الذي قام على كتابته، والمزخرف الذي أنقه، والمجلد الذي اعتنى بتجليده وتذهيبه، قاموا بفعل ذلك حسب القواعد والأعراف والتقاليد الجارية في عصرهم، لذلك فإن ظهور سمات العصر الذي تم فيه صنع المخطوط أمر بديهي"([22]).

3.تاريخية الإفادة من كوديكولوجيا المخطوط من النشأة إلى غاية القرن الرابع هجري:

يقر الدراسون للمخطوط العربي؛ أنه بمثابة النافذة التي نطل بها على التراث الحضاري للشعوب العربية، حيث يكون المخطوط جسرا للتواصل بين الماضي والحاضر، وهو بذلك حامل للهوية الثقافية والمعرفية التي شهدها التاريخ العربي والتي سايرت تطور المجتمع العربي عبر مراحله التاريخية المتعاقبة، لذلك يجمع الباحثون على أن المخطوط العربي كجزء لا يتجزأ من المخطوطات التي ظهرت عبر العالم والتي تحتضنها مختلف المكتبات والمتاحف العالمية، إنما لا يختلف في كيفية صناعته ودراسته عما قدمه علم الكوديكولوجيا في دراسته للمخطوطات العالمية، والتي فصل فيها الباحث عبد الستار الحلوجي "وفي تقديري أن علم المخطوط العربي يقوم على دعائم ست ويدخل تحت مظلته ست موضوعات أو محاور أساسية ويبدأ هاته العناصر بتاريخ المخطوط، ثم يتبعه بالاهتمام المادي للمخطوط، وهاته هي الصورة العامة لعلم المخطوطات عند الحلوجي، وهي كما نرى تستوعب كل القضايا المخطوط العربي بدءا من تاريخه الذي يعد ضربة لازب لكل باحث في التراث، وانتهاء بتحقيقه وإخراجه إلى القراء في الصورة النموذجية المتوخاة من السواد الأعظم من المهتمين"([23]).

شغل المخطوط العربي اهتمام عديد الباحثين الذين سعوا لدراسته، انطلاقا من تمثلهم لعلم الكوديكولوجيا العربي كعلم خاص بدراسة المخطوطات العربية، والتي تعد الأثر المادي لقيام حضارة فكرية في زمكانية معينة من التاريخ الإنساني، حيث ألفوا لكتب تهتم بكل جديد عن المخطوط العربي والتي نجد منها كتاب "المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان" للباحث إياد خالد طباع، والذي ركز في دراسته للمخطوط

العربي على الجانب الزمني والمكاني لنشأة وتطور المخطوط العربي والكيفية التي صنع بها عبر كل حقبة زمنية "أما الحدود الزمنية لهاته الدراسة فقد قيدتها بالمخطوط العربي منذ فجر الإسلام حتى عصر الخلافة الإسلامية، وأما مادة الكتاب ومحتواه فقد تم إعدادها من مصادر متناثرة قربت البعيد، وجعلت القريب سهل التناول"(24).

يرى الباحثون في المخطوط العربي أن منشأ ظهوره قد ارتبط بأولى المراحل الثقافية التي أرخت للحركة المعرفية للعرب والتي تتمثل في فترة الجاهلية، على الرغم ما يشوب هاته الحقبة من شكوك حول حقيقة ما تم تدوينه، على أساس أن آلية التواصل قد اقتصرت على المشافهة والحفظ والتلقين في نقل المعارف والأخبار، والتي أثرت بضياع عدد كبير وهام من التراث الفكري "على اعتبار أن العرب في تلك المرحلة كانوا يعتمدون على النقل الشفوي، فأغلب الوثائق التي وصلت تم نقلها عن طريق الحفظ عن ظهر قلب والتلقين، وبقيت عملية الاهتمام منحصرة في طريقة الحفظ حتى عصر الإسلام"(25).

ما يميز هاته المرحلة هو تميز العرب بنظم الشعر وإجادة سبكه أين كان هذا المظهر الأدبي يشهد تنافسا كبيرا بين الشعراء، والتي كان يطلق على جيد الشعر بالمعلقات أو المذهبات كرمزية للفراسة الشعرية، وهي بذلك تعد أولى المخطوطات العربية ظهورا غير أن اقتصارها في كونها مرويات غير مستندة للأثر يجعلها مدعاة للشك في حقيقتها "لكانت هاته المدونات أول مخطوطات عربية عرفها التاريخ، ولكننا لا نستطيع أن نبني حقائق العلم على دعاوي لا تستند إلى أي أساس تاريخي، فالثابت يقينا أن الكتابة في العصر الجاهلي كانت محصورة في أناس معدودين وأن أدواتها لم تخرج في معظمها عن العسب واللخاف وعظام أكتاف الإبل وأضلاعها، وأن الكراريس لم تعرف في هذا العصر على الإطلاق، بل إن لفظ الطنوج هذا لم يرد في غير تلك الرواية التي تنسب إلى حماد وهو رجل متهكم مشكوك في رواياته"(26).

غير أن الظهور الفعلي لظهور المخطوط وبشكل مادي يرتبط بفجر الإسلام، والتي كان للفتوحات الإسلامية الأثر الكبير في تعزيز دور المخطوط في المعاملات بين الشعوب والأمم، انطلاقا من الرابط الديني الذي ثبت قيمة هاته المخطوطات في نشر الإسلام والتعريف به "ومع ظهور الإسلام بدأت طبقة جديدة من الكتاب تظهر في المجتمع العربي وتدور في فلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإلى جانب كتاب الوحي كان هناك كتاب يكتبون الرسائل التي يبعث بها الرسول إلى شتى بقاع الأرض يدعوا الناس فيها إلى الدخول في الدين، وآخرون يكتبون للرسول صلوات الله عليه وسلامه عليه شتى حوائجهم، وغيرهم يختصمون بالكتابة في شؤون المسلمين"(27).

مع ظهور الإسلام بدأ ظهور المخطوط بصورة محسوسة مادية، بانتقال العرب من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التدوين وإدراكهم لقيمة الكتابة بعد انفتاحهم على الشعوب الفارسية والمشرقية والأمصار، وازداد اهتمام العرب بالخط بإتقانه وإجادته كآلية مهمة للكتابة على الصحائف وغيرها من الوسائل التي تخدم الدين، مستندين في ذلك على البردي تارة المجلوب من مصر أو الرق تارة أخرى وفي فترة متقدمة على الورق وفق أسلوب خطي يتماشى مع كل سياق "وكان الخط نفسه إبان ظهور الإسلام قد شرع يولد من ناحية الشكل في أسلوبين تبعا لمجال الاستخدام، وتأثير أدوات الكتابة المختلفة، فالأسلوب الذي تسوده الزوايا الحادة في أشكال الحروف كان مخصصا للكتابات المنقوشة على الحجر والوثائق الجادة الهامة المكتوبة على الرق، وبصورة خاصة للمصاحف آنذاك أما الكتابة على البردي للوثائق الخاصة بالمعاملات اليومية التي تتطلب السرعة أكثر من الدقة في رسم الحروف، مما جعل الخط نفسه يكتسب أسلوبا ثانيا ذا شكل مستدير تسوده الخطوط اللينة المقوسة"(28).

كان لتطور الحياة الاجتماعية في البيئة العربية وانفتاحها على باقي الشعوب دور في الإطلاع على نوعية الخطوط السائدة في المنطقة العربية، أين أولى العرب عناية كبيرة للخط لدرجة تصل لتنافس المدونين على الخط

وإجادته ومن بين الخطوط التي أجادها العرب بشكل كبير هو الخط الكوفي الذي استعملوه في مختلف المجلات خاصة في المجال الديني، فكان لازدهار الخط علاقة وطيدة بتطور الحضارة العربية الإسلامية، ذلك أن الضعف والانحطاط الذي لحقها في مراحل متقدمة من التاريخ أثر على الاهتمام بالخط وهو ما انعكس في انتقاله من بغداد إلى مصر يقول ابن خلدون: "وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه، ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة"([29]).

إن المتمعن لعملية صناعة المخطوط العربي في جزئية الخط والعناية به، يدرك أنها لم تخرج في وسائل التدوين عما كان متعارفا عليه في ذلك السياق، على الرغم من ظهور الورق، لكنه لم يستطع طمس قيمة الخط على الرق وذلك لقيمة هذا الأخير وقدرته على الصمود أما تحديات الطبيعية مثل الرطوبة وصعوبة تزوير وتزيف ما خط عليه، وقد أستند في التدوين لوسائل بسيطة مثل القصب والسعف، ومواد مجلوبة من بلاد الصين مثل المداد ثم أعيد صناعته في بلاد العرب بمواد مثل الصمغ أو حبر الدخان "على هاته المواد كتب العرب مخطوطاتهم الأولى بأقلام من السعف أو الغاب أو القصب، وبمداد مجلوب من الصين أول الأمر، ثم مصنوع في بلاد العرب بعد ذلك، إما من الدخان أو من العفص والزاج والصمغ، وكان حبر الدخان يناسب الورق ولا يصلح للجلود والرق"[30].

شهد القرن الثاني هجري ظهور مرحلة جديدة في تاريخ المخطوط العربي والتي تمثلت في التأليف، وذلك لإفادة الشعوب الأخرى بما يكتنزونه من معارف خاصة في ظل توفر نخبة من اللغويين المجيدين للخط "إن حركة التأليف الفعلية بدأت في القرن الثاني الهجري، ولكنها لم تلبث أن ازدهرت ازدهارا رائعا على أواخر هذا القرن وأوائل القرن التالي، ويعتبر الإمام الشافعي والمدائني والواقدي وجابر بن حيان وهشام الكلبي وإسحاق الموصلي، ومن بعدهم الجاحظ والكندي والرازي نماذج رائعة لكثرة الكتب وضخامة حركة التأليف في تلك الحقبة من التاريخ العربي"[31].

كان لظهور الوراقة في أواخر القرن ثاني هجري إضافة مهمة في تدوين المعارف، والتي يرجع البعض من الباحثين أن الوراقة ترتبط بمالك بن دينار حيث ساعدت على تطور العلوم وتأليفها وترجمتها ونشرها "والواقع أنه في أواخر هذا القرن الثاني كان كل شيء مهيأ لظهور الوراقة، فإلى جانب صناعة الورق التي ولدت على الأرض العربية، وجد شريانان مهمان غذيا حركة الوراقة وأمداها بدماء متدفقة وهما: الحركة العلمية وما استتبعها من نشاط في التأليف والترجمة، ومجالس الإملاء وما نتج عنهما من مؤلفات عرفت في التاريخ العربي باسم الأمالي"([32]).

عرف القرن الثالث هجري انتشار فن التجليد على الرغم من أن هذا الفن قد بسط معالمه الأولى منذ ظهور الإسلام إلا أن انتشاره بشكل فعلي كان في القرن الثالث هجري والذي أضيفت عليه الزخرفة كوسيلة للزينة "لقد مر فن التجليد بين أيدي الفنانين المسلمين في مراحل عديدة فقد قام أول ما قام على التقاليد الحبشة والقبطية السابقة للإسلام، فاستعمل المجلدون في أول الأمر لوحين من الخشب جمعت بينهما أجزاء القرآن أو بعضها والظنون أن الفنان المسلم لم يدع هاته الألواح عاطلة من الزخرفة بل زخرفها وربما غلفها بالقماش أو الجلد، والظاهر أن فن التجليد في العصر الأموي في بلاد الشام سار على النهج الذي كان عليه أيام الخلفاء الراشدين مع إحداث بعض التطورات... وفي العصر العباسي استمر فن تجليد الكتب في العالم الإسلامي على ما كان عليه في العصر الأمي بعد أن لحقت به تطورات في الصناعة والزخرفة على حد سواء، غير أنه لم يصل إلينا شيء من أوائل هذا العصر"([33]).

كما أن انفتاح العرب على الفرس ساعدهم على التعرف على الكتب المصورة والتي جذبت اهتمام العديد القراء والمدونين والتي عمدوا على جلبها للساحة العربية والتي تمثلوها فيما بعد لتحفل المخطوطات العربية بعديد النماذج للكتب المصورة "يبدو أن الكتب العربية المصورة كانت قد كثرت ووجد لها معجبون يحرصون على اقتنائها قبل أن يبلغ القرن الرابع الهجري نهايته، فالمقريزي يحدثنا أن الوزير اليازوري في النصف الأول من القرن الخامس كان أحب إليه كتاب مصور أو النظر إلى الصورة أو التزويق"([34]).

لذلك فالصور بقدر ما كانت تعد شاهدا على حدث عين يصور فيه شخصية أو رسومات لحيوانات أو أواني فهي في الوقت ذاته تعد وسيلة للزينة على المخطوط ولا تختلف كثيرا عن الزخرفة إلا في كونها تشغل جزءا أكبر على الورق، ومن خلال هذا نتوصل إلى أن المخطوط العربي عرف أوج ازدهاره من لحظة ظهوره على الساحة الحضارية العربية إلى غاية القرن الرابع هجري والتي تمثل فيها المخطوط العربي المعالم المادية التي تدخلت في صناعة المخطوطات العالمية "فمن هذا العرض السريع للمخطوط العربي منذ النشأة إلى آخر القرن الرابع الهجري، يتبين لنا أن تلك الفترة الأولى على الرغم ما يكتنفها من غموض وإبهام كانت فترة خصبة في تاريخ المخطوط العربي بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنها أخصب الفترات في تاريخه على الإطلاق، وحسبها أنها شهدت جميع مراحل تطور الخط العربي والكتابة العربية حتى استوت على صورتها النهائية، وأنها شهدت حركة التأليف والترجمة منذ نشأتها إلى أن بلغت قمة مجدها وشهدت بعد ذلك تطور صناعة الكتاب العربي من أبسط صورها إلى أن بلغت درجة معقدة من النضج الفني تجلت فيما كانت تتحلى به مخطوطات تلك القرون من صور وخرائط، وما بلغته صناعة جلودها من دقة ومهارة وإبداع"([35]).

هكذا نخلص أن المخطوط العربي قبل أن يكون في صورته النهائية التي وجد عليها اليوم؛ قد مر بمراحل مهدت له تشكيل خصوصيته في التشكيل المادي الذي يقوم عليه حيث يتماشى مع تطور كل عصر من العصور، استطاع من خلالها كوديكولوجيا المخطوط العربي أن يكشف لنا عن الزمن والكيفيات المادية التي دخلت في صناعة المخطوط العربي والتي استوفى صورته النهائية من منطلق النشأة إلى غاية أواخر القرن الرابع هجري.

4. رقمنة المخطوط العربي من مرحلة الأرشفة المحتوى إلى عولمة التلقي:

مما لا شك فيه أن الحياة المعرفية في تطور مستمر، يتبعه تطور في التوجه العلمي في مختلف المجالات حيث تتبعها تغيرات شتى تمس جوانب عديدة من المظاهر الحضارية للإنسان، وهو ما يجعل المخطوط عامة والمخطوط العربي خاصة يشهد تحديات عويصة قد تعصف بقيمته التراثية التي تؤرخ للحضارة الفكرية والثقافية للعرب عبر مر العصور، فإن كان الجانب السوداوي من هاته التحديات تاريخيا، يجعل من المخطوط بنية هشة في مواجهة الظروف الطبيعية مع تقدم مرور الزمن، إلا أن الجانب المشرق من هذا التحدي هو أن المخطوط كلما ازداد قدما وعمرا كلما زادت قيمته وصار نفيسا شأنه في ذلك شأن ألواح الرسم، غير أن تحدي الأكبر الذي يواجه المخطوط هو ذلك التغير الذي يمس الأجيال الجديدة التي تنزح على العلم في ظل العصرنة وما يسايرها من مظاهر التكنولوجيا، التي تكتسح الحياة الإنسانية يوما بعد يوم.

يعد هذا التطور الرقمي تحديا، يحمل كثيرا من مشاعر الخوف اتجاه المخطوط، مخافة حدوث عزوف وهجرة للأجيال عن الإطلاع على المخطوطات، على الرغم مما قدمته لنا دروس التاريخ من قيمة الآثار القديمة التي لم تضمحل وصمد وجودها أمام العصرنة، لكن الضرورة تدفعنا بإلحاح شديد إلى ضرورة تكييف المخطوطات مع الرقمنة ووسائلها الباهرة في الحفظ والتوثيق، وبذلك يصبح مطلب أرشفة المخطوط غاية ملحة لما سيقدمه من وسيلة للحفظ وسهولة في النقل بين الأجيال والحصول على المعلومات وتسهيل للدراسة على المخطوط في ظل

تطور تكنولوجي اجتاح كل المستحيلات لتصبح حقيقة ملموسة ومعاشة، غير أن مطلب أرشفة المخطوط ليس بالشيء الجديد في عالم الكوديكولوجيا، بل هو عودة المخطوط لماهيته الأولية المتمثلة في الكتابة، والتي نقلته من مرحلة المشافهة إلى التدوين، غير أن الشيء المختلف هنا هو أن تدوين المخطوط قديما تم وفق تكييفه مع حوائج عصره من الكتابة على البردي أو الرق أو الورق، لذلك فأرشفة المخطوط في سياق العصرنة هي عمل على تكييف المخطوط بصبغته القديمة مع متطلبات العصرنة من وسائل تكنولوجية سمعية وبصرية، فالأرشفة بهذا المفهوم تعرف بكونها آلية معروفة منذ القدم مادامت مرتبطة بفعل الكتابة والتدوين "هاته الأخيرة ساهمت بشكل كبير في ظهور الأرشيف الذي جاء عفوية للكتابة، فارتبط بذلك الأرشيف بالكتابة، والدليل على ذلك ما أثبتته أحداث العصور المختلفة، خاصة فيما يتعلق بتطور التدوين في جميع الميادين، مما نتج عن هذا وثائق كثيرة، يمكن إعادة استعمالها على فترات لاحقة، مما يستدعي ضرورة حفظها والاعتناء بها، فمن خلال ما سبق قد أثبت المؤرخون أن البدايات الأولى للأرشيف صاحبت الخطوات الأولى للتدوين عند الإنسان"([36]).

يصبح الأرشيف بهذا المفهوم منجزا معرفيا بصبغة قديمة من حيث النسخة، و يكون حديثا وفقا لتكييفه مع متطلبات الأرشفة الرقمية، حيث يرجع الباحثون أن مصطلح الأرشيف من الناحية اللغوية "كلمة أرشيف: يونانية المصدر Archè، أو Archion ومعناها السلطة، كما عرفت في اللاتينية Archivum ومعناها الورقة"([37]).

أما من الناحية الاصطلاحية فالأرشفة هي "مجوعة الوثائق التي تتضمن الأوراق والكتب والخرائط، والتسجيلات السمعية البصرية والمواد المليزرة الأخرى، التي نشأت أو التي وردت فيما يتعلق بتطبيق القوانين أو المعاملات التجارية، أو المعاملات العامة، والتي روي الإبقاء عليها لقيمتها المستمرة فهاته الوثائق تعتبر تاريخية وغير جارية، انتهت عملية استخدامها من طرف الإدارة المنتجة لها، لكن تقرر الإبقاء عليها لما لها من أهمية تاريخية، كما يجب أن تجمع في مكان واحد وفقا لأنظمة معينة لتسيير عملية البحث التاريخي عنها"([38]).

تعد أرشفة المخطوط غاية علمية، لأنها تسهم في حمايته وحفظه من التلف، ووتستشرف النهوض بالمخطوط؛ بترقيته من مرحلة الطبع إلى مرحلة الرقمنة، إلا أن أرشفة المخطوط كغاية نسعى لتحقيقها على نحو واقعي وفعلي تعرف بحد ذاتها بعض العراقيل، والتي تنطلق من كون الأرشفة عملية في غاية التعقيد وتحتاج إلى تطويع تقنيين متخصصين ملمين بماهية الأرشفة والتي تدخل فيها مراحل متداخلة تحتاج لتركيز كبير، ويقدم الدكتور زهير حافظي من خلال أطروحته "الأنظمة الآلية ودورها في تنمية الخدمات الأرشيفية" دراسة في غاية الأهمية تنظر من خلالها لأهم المراحل التي تقوم عليها الخدمة الأرشيفية، ويعدد الدكتور زهير حافظي بعض من الفوائد المتوخاة من الخدمة الأرشيفية والتي نجد منها:

_ توفير مختلف مصادر المعلومات تناسب احتياجات المستفيدين.

_ الإحاطة السريعة بمصادر المعلومات.

_ متابعة احتياجات المستفيدين التي تتغير حسب ظروف الحاجة إلى المعلومات.

_ مراعاة الدقة في تقديم الخدمات.

_ متابعة المستفيدين في تخطي الحواجز للوصول إلى المعلومات كتشتت الإنتاج الفكري، وحواجز اللغة وغيرها"([39]).

إن العمل على أرشفة المخطوط بنقله من صيغته المطبوعة التقليدية والقديمة إلى جعله وثيقة إلكترونية، هو منجز إن تحقق سيكون طفرة في مسار علم المخطوطات، وذلك لما يترتب عنه من فوائد نفعية تخدم الإطار العلمي والمعرفي للأجيال القادمة، لذلك فالهيئات المختصة بالمخطوط تدرك قيمة أرشفة المخطوطات لما تحققه من تذليل للصعوبات التي يواجهها الباحثون في علم المخطوطات، وضمان حفظ دائم يتكيف مع متطلبات العصرنة، كما أن هاته الغاية لا تتوقف على قيمة الأرشفة فقط بل تتعداه إلى مساعي رقمنة المخطوط، حيث يشهد مصطلح الرقمنة تضاربا في التعاريف "فالرقمنة في سياق نظم المعلومات: هي تحويل النصوص المطبوعة مثل الكتب والصور، سواء كانت صورا فوتوغرافية أو خرائط أو إيضاحات أو خرائط وغيرها من المواد التقليدية، من أشكالها التي يمكن أن تقرأ بواسطة الإنسان، أي تناظرية، إلى الأشكال التي تقرأ بواسطة الحاسب الآلي، أي إلى إشارة ثنائية وذلك عن طريق استخدام نوع ما من أجهزة المسح الضوئي، أو عن طريق الكاميرات الرقمية، والتي ينتج عنها أشكال يتم عرضها على شاشة الحاسب"([40]).

الواضح أن الرقمنة خطوة مهمة تكمل مرحلة الأرشفة والتي تدفع بالمخطوط بالخروج من دائرته الضيقة التي تنحصر في منطقة ما إلى مرحلة عولمة المخطوط والتي يصبح فيها المخطوط متاحا أمام مختلف الدارسين من كل بقاع الأرض، مادام قد تم تكيفيه مع مظاهر العصرنة وفي مقدمتها التكنولوجيا بكل وسائلها السمعية البصرية وهذا استنادا إلى تقنيتي الأرشفة والرقمنة، ويقدم الباحث عادل غزال الجزائري مقالة موسومة ب: "رقمنة المخطوطات العربية الطرق والأساليب" والتي يقدم فيها فكرة شاملة عن مشروع رقمنة المخطوط العربي، والكيفيات الكفيلة لتحقيق هذا المشروع سواء من الجانب التقني أو المادي أو جانب الموارد البشرية، والذي يرى أن مشروع رقمنة المخطوط العربي إنما يجب أن على ثماني مراحل أساسية، يمكن أن نلخص كالأتي:(مرحلة التنظيم والصيانة وترميم المخطوطات، مرحلة الرقمنة، مرحلة المعالجة، مرحلة المراقبة، مرحلة التكشيف، مرحلة الحفظ والإتاحة، مرحلة التجريب، مرحلة التقييم والتقويم)"([41]).

يستشهد الدكتور عادل غزال بعديد التجارب في الدول العربية التي انطلقت في رقمنة المخطوطات مثل سلطنة عمان، حيث استطاعت بفضل رقمنة المخطوط تحصيل فوائد كبيرة التي من شأنها خدمة الكوديكولوجيا والتعريف بالمخطوط العربي على نحو عالمي، وفي هذا المحور المتعلق بفوائد رقمنة المخطوط يمنحنا الدكتور زهير حافظي بعض الفوائد المتوخاة من رقمنة المخطوط وأهميته، ومنها:

_ إتاحة عملية الدخول إلى المعلومات بصورة واسعة ومعمقة بأصولها وفروعها.

_ سهولة وسرعة تحميل المعلومات من مفرداتها.

_ القدرة على طباعة المعلومات عند الحاجة، وإصدار صور طبق الأصل منها.

_ الحصول على المعلومات بالصوت، الصورة، والألوان.

_ تخفيض تكاليف الحصول على المعلومات([42]).

وفي الأخير يتبين لنا بجلاء مدى قيمة تكييف المخطوط العربي مع رهانات العصر ومظاهره، وهذا استنادا إلى مشروع أرشفة المخطوط الذي نستطيع من خلاله تحويله من صيغته المطبوعة التقليدية إلى الرقمنة حيث يصير المخطوط وثيقة إلكترونية، ومن خلال هاته الإستراتيجية الحضارية التي تتوافق مع التطور التكنولوجي الحاصل في العصر الحالي يصبح المخطوط العربي في مرحلة العولمة أين يتسنى لأي باحث في علم

الكوديكولوجيا الإطلاع عليه ودراسته في كل زمان وفي أي مكان من المعالم ذلك أن التكنولوجيا قلصت المسافات وضيقت المساحات لتكون أقرب وأسهل مادام الفكر الإنساني قائم فلا يمكن للصعاب أن تصمد، وبهذا يصير المخطوط العربي متاحا في كل مكتبات العالم ومصدرا لها بفضل الأرشفة والرقمنة التي كيفت المخطوط مع رهانات العصر.

الخاتمة:

توصلنا في الأخير من خلال هاته المداخلة الموسومة ب" كوديكولوجيا المخطوط العربي بين أرشفة التراث ورهان العصرنة"، بتبيان القيمة التراثية التي يحملها المخطوط في كونه يمثل الأثر المادي لمجمل المعارف والعلوم والفنون التي سادت عصرا من العصر وتميزت بها أمة من الأمم، وهو يعد بوابة يطلع فيها الحاضر على الماضي، وتتناقل فيها المعرفة بين الأجيال، فكان لأهمية هذا المخطوط أن ظهر علم حديث النشأة يهتم بدراسة المخطوطات المصنوعة باليد يسمى الكوديكولوجيا، والذي يهتم بدراسة الإطار التاريخي الذي صنع فيه هذا المخطوط من أجل تحديد عمره، كما يدرس بشكل خاص الجوانب المادية التي صنع منها المخطوط، حيث يمكن علم المخطوط أو الكوديكولوجيا من نسبة المخطوطات إلى السياق الزمكاني الذي نشأت فيه، فعلى الرغم من الروح العلمية والموضوعية التي يقوم عليها هذا العلم إلا أن نتائجه في عديد المرات تبقى ناقصة وغير مكتملة وذلك راجع للمخطوط ذاته الذي يدرسه علم المخطوط من خلال أن عديد المخطوطات قد عرفت تغيرات عديدة مست انتقالها من المكان والذي صنعت فيه إلى مكان آخر بفعل أن تلك الحقب من التاريخ معروف عليها كثرة الترحال بين الشعوب من أجل مآرب عديدة، وأيضا ما لحق المخطوطات من تلف نتيجة التأثر بالسياق الزمني والظروف الطبيعية مثل الرطوبة، مادام أن المواد التي تتشكل منها هي (البردي، الرق، الورق)، كما استطاع علم المخطوط من تبيان المواد التي يتشكل منها المخطوط والتي تربط بصورة أولية بالعصر والبيئة التي ظهر بها المخطوط، فأولى هاته المواد نجد البردي الذي كان يستعمل أوراق النبات للكتابة عليه إلا أن الكتابة عليه يكون مرهونة بحد معين من الكلمات، وكذلك نجد الرق وهو المتمثل في الكتابة على جلود الحيوانات ويتميز بالجودة والغلاء للحصول عليه، وهو مفضل لدى المدونين الذين كانوا يكتبون عليه مرات عديدة في نفس الرق مع الإمحاء، وقد نافس الورق في مرحلة من مراحل التاريخ، ثم الورق الذي ارتبط بمرحلة الوراقة، لتسترسل بعد ذلك مراحل صناعة المخطوط من: الملزمة، الطي، الخزم، التسطير، تركيب الصفحات، النسخ، الزخرفة، التسفير، وهاته هي المواد التي يتركب منها المخطوط أثناء صناعته، وقد بين الكوديكولوجيا المخطوط العربي أن المخطوط العربي عبر مساره التاريخي الطويل لا يخرج في صناعته عن هاته المواد، ويقدم الكوديكولوجيا المخطوط العربي الحقبة الزمنية التي تؤرخ لظهور المخطوط العربي هي الممتدة من صدر الإسلام إلى أواخر القرن الهجري الرابع، على الرغم من تحفظه على المرحلة الجاهلية لما يشوبها من حقائق تميل للزعم والمرويات وهو ما يجعلها عرضة للشك وهذا لا ينفي وجود بعض الجهود لإظهار المخطوط إلى العلن، إلا أن المرحلة الفعلية لظهور المخطوط ارتبطت بصدر الإسلام وهو ما يتوافق مع الفتوح الإسلامية ونشر الدين، وقد واكب ذلك تطور في صناعة المخطوط خاصة مع إجادة الكتابة والحاجة للتدوين والإجادة في الخط، وخلال هاته الحقبة لم يخرج المخطوط في تشكله المادي عن المواد الصناعة السابق ذكرها مع تماشي كل صناعة للمخطوط مع ما هو سائد من أساليب تدوين وصناعة في كل حقبة زمنية، فالمخطوط ابن بيئته، إلا أن المخطوط في ظل العصرنة يشهد تحديات جديدة تتطلب ضرورة تكييف المخطوط مع روح العصرنة وما تتميز بها من تكنولوجيا السمعي البصري، وهو ما يستدعي ضرورة أرشفة التراث ورقمنته، حفاظا على المخطوط العربي كتراث مادي شاهد على قيام حضارة معرفية للأمة العربية، وضمان لاستمرارية المخطوط بين الأجيال، لكونه يمثل جسرا حضاريا يربط الماضي مع

الحاضر، وهي غاية من شأنها الوصول بالمخطوط لدرجة العولمة، والتي تتيح لكل الباحثين من مختلف بقاع الأرض الإطلاع على المخطوط ودراسته في كل زمان ومكان، استنادا لما تحققه الأرشفة والرقمنة للمخطوط من الحفظ الدائم والنقل السريع بواسطة الوسائط التكنولوجية والتي يتحول بفضلها المخطوط من مرحلة المخطوط المطبوع بتقنيات تقليدية قديمة إلى وثيقة رقمية، إلا أن هاته الغاية تتطلب الاستثمار الفعال للموارد البشرية المتخصصة، والتقنين لأرشفة المخطوط بوضع قوانين تحمي المخطوط، وتوفير الموارد المالية والوسائط التكنولوجية لتحقيق الصبغة التقنية للمشروع، ويعد التحلي بروح الإرادة عاملا مهما لتحقيق مشروع أرشفة ورقمنة المخطوط لتجسيده على نحو واقعي، على الرغم من أن بعض الدول العربية بدأت في تفعيل هذا المشروع وتطبيقه على نحو واقعي وهو ما من شأنه خدمة التراث الثقافي وخدمة الكوديكولوجيا عموما، وفي الأخير هاته بعض النتائج المحصل عليه من المداخلة:

_ المخطوط وهو الكتاب المصنوع باليد ومر على ظهوره حقبة زمنية طويلة تؤرخ للتاريخ المعرفي البشري، ويجمع عدد معين من المعارف الإنسانية المدونة بخط اليد، وقد ارتبط ظهوره بالوعي البشري لقيمة الكتابة في الحياة الثقافية والاجتماعية والتي انتقل فيها الوضع من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التدوين، لذلك فالكتابة تعد العامل الأساسي في ظهور المخطوط، وأن تطور صناعة المخطوط ارتبط بتطور المواد التي تدخل في صناعته عبر سياقات زمنية مختلفة.

_ الكوديكولوجيا وهو علم حديث الظهور يهتم بدراسة الجانب المادي الذي صنع منه المخطوط، والذي يتمكن من خلاله من تحديد عمر المخطوط ومكان ظهوره والوسائل التي تدخل في صناعته، فعلى الرغم من النتائج المحصل عليها من دراسة المخطوطات إلا أنه يبقى يصارع عديد الصعاب التي ترهن فعاليته العلمية والتي ترتبط بالمخطوطات ذاتها وهشاشتها أما التطور التاريخي.

_ استطاع كوديكولوجيا المخطوط العربي أن يكشف على أن المخطوط العربي عرف مرحلة ازدهار من فجر الإسلام إلى القرن الرابع هجري، وهي مرحلة ازدادت فيها الحاجة للمخطوطات نتيجة للثراء المعرفي والذي ميز الحضارة الإسلامية عبر العصور، وإجادتهم للخط والاهتمام به في مراحل متقدمة من الكتابة والتدوين خاصة بعد الانتقال الإمارة الإسلامية من بغداد إلى مصر، والتي استعمل في صناعة المخطوط مختلف الوسائل من بردي ورق وورق بما يتناسب مع كل عصر.

_ أن المخطوط العربي أثناء كل مرحلة تاريخية كان يشهد وسائل جديدة في صناعته من وراقة ومداد وحبر وتجليد وصور وزخرفة، وهي دليل آخر على أن المخطوط ابن بيئته وعصره فكلما تطورت وسائل التدوين إلا وأدرجت في صناعة المخطوط.

_ إن المخطوط بصدد مواجهة تحديات جديدة مع مرحلة العصرنة والتي تستدعي تكييفه وتطويعه مع متطلبات العصر، حيث بات الطابع التقليدي للمخطوط هشا أمام المد التكنولوجي الذي يكتسب الساحة الثقافية في مختلف التخصصات، وبذلك وجب تطلع لأرشفة ورقمنة المخطوط ليتماشى مع طبيعة الأجيال القادمة، فعلى الرغم من ما تقدمه الأرشفة والرقمنة من حفظ للمخطوط وسهولة في النقل والتبادل باستعمال الوسائط التكنولوجية السمعية البصرية، إلا أن هاته العملية لا تعد بالشيء الجديد لأن تدوين المعارف قديما ونقلها من مرحلة المشافهة إلى مرحلة التدوين، لتكون الكتابة على الرق والورق في تلك الحقبة أرشفة، فعلى الرغم من أن مصطلحي الأرشفة والرقمنة يرتبط بالأساس بالجانب التقني التكنولوجي، فإن هاته الغاية لأرشفة المخطوط تحمل هدفا ساميا ينتقل به المخطوط من المطبوع إلى الوثيقة الرقمية، وهو ما يسمح بعولمة المخطوط

العربي، ليصبح متاحا أما كل الباحثين من شتى المراكز البحثية على وجه الأرض، وهو ما يسمح بالتعريف به على نحو عالمي يتجاوز به الطابع المحلي، ليكون المخطوط من خلال الأرشفة والرقمنة منفتحا على كل الجبهات العلمية العالمية.

_ إن الغاية المتوخاة من أرشفة المخطوط هو العمل على تكييف المخطوط مع متطلبات وتطورات العصر خاصة في ظل التطور التكنولوجي الذي تشهده تكنولوجيا المعلومات، وهو ما يحقق غاية كبرى تتعدى الأهداف القريبة والجاهزة التي تنحصر في مجرد الحفظ والتبويب، بل تتعداها لتصل لغاية مهمة هي العمل على عولمة المخطوط العربي، في ظل عالم صار مكشوفا واخترق المستحيلات، وبذلك يصبح المخطوط مصدرا متوفرا لأي باحث أينما كان وهو ما يفيد التراث العربي خاصة بما تعرفه الدول المتقدمة من تطور في مناهج البحث والدراسة وبذلك يصبح المخطوط أمام فرصة لدراسات جديدة متطلعة لنتائج جديدة تكشف عن ما لم يتم الوصول له في عالم صار فيه العلم يوحد الغايات، فبفضل الأرشفة، وتكييف المخطوط العربي مع العصرنة، نتمكن من تذليل العقبات واختصار المسافات خدمة للعلم والمخطوط، لنتمكن فيما بعد بولوج ما يلم يتم دراسته ولم يفصل فيه بعد.

الهوامش:

[1] _ أحمد عطية، أساسيات علم المكتبات والمعلومات، دار الشروق، عمان، 1997، ص 74.

[2] _ عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، ط4، 1998، ص 55.

[3] _ جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة: مصطفى طوبى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط1، 2006، ص 8.

[4] _ دون مؤلف، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد: 79، 2014، ص 13.

[5] _ جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، ص 26.

[6] _ جاك دريدا، استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، ترجمة عز الدين الخطابي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2013، 206.

[7] _المرجع نفسه، ص 205.

[8] _دون مؤلف، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، ص17.

[9] _المرجع نفسه، ص 170.

[10] _نفسه، ص 168.

[11] _ جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، 40.

[12] _المصدر نفسه، ص 40.

[13] _نفسه، ص 59، 60.

[14] _نفسه، ص 81

[15] _نفسه، 97.

[16] _نفسه، 179.

[17] _نفسه، 187.

[18] _نفسه، 215.

[19] _نفسه، 252، 253.

[20] _ينظر، نفسه، ص 206، 209.

[21] _نفسه، ص 317.

[22] _ طباع إ، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سوريا، 2011، ص 03

[23] _المصدر نفسه، ص 18.

(24)_نفسه، ص 05.

(25)_ دون مؤلف، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، ص 63.

(26)_المصدر نفسه، ص 67.

(27)_ طباع إ، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان، ص 13.

(28)_المصدر نفسه، ص 16.

(29)_ دون مؤلف، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، ص 82.

(30)_ المصدر نفسه، ص 82.

(31)_ نفسه، ص 73، 74.

(32)_نفسه، ص 73، 74.

(33)_نفسه، ص 77.

(34)_ طباع إ، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان، ص 86، 87.

(35)_ دون مؤلف، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، ص 92.

(36)_المصدر نفسه، ص 96.

(37)_حافظي ز، الأنظمة الآلية ودورها في تنمية الخدمات الأرشيفية، أطروحة دكتوراه علوم، قسم علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص 29.

(38)_المرجع نفسه، ص 24.

(39)_المرجع نفسه، ص 25.

(40)_المرجع نفسه، ص 63.

(41)_يس ن، الرقمنة وتقنياتها في المكتبات العربية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 20.

(42)_ حافظي ز، الأنظمة الآلية ودورها في تنمية الخدمات الأرشيفية، ص 126.

قائمة المراجع:

الكتب:

_أحمد عطية، أساسيات علم المكتبات والمعلومات، دار الشروق، عمان، 1997.

_طباع إ، المخطوط العربي دراسة في أبعاد الزمان والمكان، منشورات الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سوريا، 2011.

_عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، ط4، 1998.

_يس ن، الرقمنة وتقنياتها في المكتبات العربية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013.

الكتب المترجمة:

_جاك دريدا، استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، ترجمة عز الدين الخطابي، دار أفريقيا الشرق، المغرب، 2013.

_جاك لومير، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة: مصطفى طوبى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط1، 2006.

أطروحة دكتوراه:

_حافظي ز، الأنظمة الآلية ودورها في تنمية الخدمات الأرشيفية، أطروحة دكتوراه علوم، قسم علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008.

مجلات علمية:

_دون مؤلف، علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد: 79، 2014.